التنظيمات السلفية الجهادية في لبنان بين النزعة الداخلية والارتباط الإقليمي

محمد علوش *

ملخص: ملخص تسلّط هذه الدراسة الضوء على السلفية في لبنان، التي اتّخذت في البداية طابعًا دعويًّا صرفًا قائمًا على تصحيح العقيدة، إلا أن الواقع اللبناني المضطرب سياسيًّا وطائفيًّا– دفع الفكر السلفي نحو التشدُّد، كما أسْهَمت الظروف الإقليمية في هذا التشكّل، بدءًا من الاحتلال الأمريكي للعراق عام 2003 إلى اندلاع الثورة في سوريا عام 2011. وقد وقع الصدام بين التيار السلفي الجهادي والدولة اللبنانية أكثر من مرة، وبأسماء وتنظيمات مختلفة، إلا أن عنوانه كان واحدًا، وهو الحفاظ على هوية وحقوق أهل السنة في لبنان. ورغم اتساع الظاهرة وتعمقها إلا أن الدولة اللبنانية لاتزال تتعامل معها على أنّها حالة أمنية بحتة، بعيدًا عن مشاركة المؤسسات الدينية الرسمية ومؤسسات المجتمع المدني في معالجة الظاهرة، وهو ما يقلّل الآمال في تلاشي الظاهرة أو انكماشها في المستقبل المنظور.

* باحث، لبنان

Lebanese Salafist Jihadist Organizations between Internal Tendency and Regional Engagement

MUHAMMAD ALLOUSH*

ABSTRACT This study sheds light on Salafism in Lebanon, which initially took on an advocacy character. However, the regional circumstances, from the US occupation of Iraq in 2003 to the outbreak of the revolution in Syria in 2011 and the turbulent Lebanese reality, pushed the Salafist ideology towards militancy. Salafist Jihadist and the Lebanese State clashed more than once, but the title was one: the preservation of the identity and rights of the Sunnis in Lebanon. Despite its deepening, the Lebanese State still treats the phenomenon as a purely security affair, and does not involve religious institutions and civil society in treating this matter; hence, reducing the prospects of the phenomenon demise or its decline in the foreseeable future.

* Researcher, Lebanon

رؤية تركية
2017 - (6/1)
111 - 93

مقدمة

انطلقت الدعوة السلفية في لبنان على قاعدة العمل الدعوي والخيري الاجتماعي، ثم أدّت الحرب الأهلية اللبنانية خلال السبعينيات إلى تطعيمها بمدارس جهادية ومسلحة، حاولت الدفاع عن الهوية السنية لمدينتي طرابلس وصيدا. ومع تصاعد الاعتداءات الإسرائيلية نشأت سلفية مقاتلة في المخيمات الفلسطينية.

نشأت السلفية اللبنانية في حضن تجربتين غير سلفيتين هما[1] : الثورة الفلسطينية والثورة الإيرانية. إذ لا يمكن فهم تطور الحركة الجهادية السلفية من دون العودة إلى تجربة حركة التوحيد الإسلامي في طرابلس، وتجربة الحركة الإسلامية المجاهدة في مخيمَي عين الحلوة ونهر البارد للاجئين الفلسطينيين، وهما تنظيمان كانت ترعاهما حركة فتح في لبنان حتى عام 1991، إلى جانب أن حركة التوحيد كانت متأثرة، وتتلقى دعماً ماليًّا وسياسيًّا من الثورة الإسلامية في إيران.

وإذا أمعنا النظر في بروز النزعة الجهادية في الفكر السلفي اللبناني نجد تأطيرًا لها قد يعود إلى أيام قتال المجاهدين العرب في أفغانستان. ولعل أول احتكاك إسلامي لبناني بالمجاهدين العرب في أفغانستان كان حوالي عام 1987، إذ قام وفد من مشايخ السلفية في لبنان بزيارة باكستان بعد أن رشّحهم الشيخ محمد سرور زين العابدين أحد مؤسسي المدرسة السلفية الإصلاحية في السعودية والعالم العربي؛ حيث كان الأخير ذا علاقة طيبة مع الشيخ عبد الله عزام. وقد وصل هؤلاء إلى أفغانستان قادمين من عاصمة خليجية، وبقي معظمهم في باكستان في ضيافة مراكز خدمة المجاهدين، في حين فضّل بعضهم الانتقال إلى أفغانستان، وبالفعل انتقل إليها وشارك في القتال إلى جانب المجاهدين العرب، وذلك لمدة عشرة أيام. بقي الوفد مدة شهر تقريبًا قبل أن يعود من حيث أتى، ولا ندري إذا كان قد حصل اتفاق على وضع إستراتيجية عمل بين (المجاهدين العرب) والوفد الزائر بعد عودتهم إلى لبنان! [2]

مرحلة التسعينيات: العنف المترجم

في الثاني والعشرين من يونيو/ حزيران عام 1993 وضع نفرٌ من ثلاثة أفراد عبوة ناسفة بدائية الصنع تحت جسر يؤدي إلى جامعة البلمند في بلدة القلمون جنوب مدينة طرابلس، محاولة استهداف عدد من البطاركة والمطارنة الأرثوذكس الذين كانوا يشاركون في اجتماعات دينية في الجامعة. كانت المجموعة تعتقد أن بطريرك الموارنة في لبنان مار نصر الله صفير يستضيف مجموعة من البطاركة والمطارنة الصربيين والكرواتيين للإصلاح بينهم، تزامنًا مع ما كانت تقوم به صربيا الأرثوذكسية من تصفية عرقية ودينية ضد مسلمي البوسنة والهرسك.

اكتُشِفت العملية حين انفجرت العبوة بيد واضعيها، وقُتِل أحدهم قبل أن تعتقل الأجهزة الأمنية بقية المجموعة وكل من له علاقة أو ارتباط بهم[3].



كان الصراع والتنافس على أشده بين السلفيين والجماعة الإسلامية وحزب التحرير من ناحية، وبين جماعة المشاريع الخيرية (الأحباش) من ناحية أخرى، ولاسيّما أن الأخيرة تُتَّهم عند هؤلاء بأنها عين المخابرات السورية وأجهزتها الأمنية على الإسلاميين[4]. وقد تُرجِم هذا الاحتقان بعملية اغتيال لرئيس جمعية (الأحباش) الشيخ نزار الحلبي في 31 اغسطس/ آب 1995 على يد مجموعة سلفية في مدينة بيروت. تبين لاحقًا في سياق التحقيق أن الفاعلين تلقوا أمر الاغتيال من مخيم عين الحلوة.

وفي ديسمبر/ كانون أول عثرت الأجهزة الأمنية بالمصادفة على سيارة مليئة بأسلحة كانت مخبأة في صندوق السيارة الخلفي، وفي إطار التحقيقات تبين أنها تعود إلى عدد من الشباب السلفيين في طرابلس، من بينهم فؤاد الزيني وسعيد الشهال، وكانوا قد حصلوا عليها من زعيم عصبة الأنصار في مخيم عين الحلوة عبد الكريم السعدي الملقب بـ(أبي محجن)، وأن قائمة من الأسماء وضعت تمهيدًا لاغتيالها.

بدأت الأجهزة الأمنية اللبنانية السورية بالتضييق على الإسلاميين، وملاحقة المشتبه بهم، وركزت أعينها على مخيم عين الحلوة، ويرى إيهاب البنا[5] أن "حادثة سعيد الشهّال فتحت عين الدولة على السلفيين، ولم تغمض منذ ذلك الحين".

كان القضاء اللبناني حكم على ثلاثة من منفذي عملية اغتيال الحلبي بالإعدام شنقًا، وقد نُفِّذ الحكم، وهو ما أجّج الاحتقان داخل البيئات الإسلامية عمومًا، فتحيّن السلفيون الفرصة، وأقدمت مجموعة قيل إنها تنتمي إلى (عصبة الأنصار)، أو منشقّة عنها، ولها صلة بـ(عصبة النور) في 8 يونيو/ حزيران 1999 على اغتيال أربع قضاة في صيدا داخل المحكمة.

كان الصراع والتنافس على أشده بين السلفيين والجماعة الإسلامية وحزب التحرير من ناحية، وبين جماعة المشاريع الخيرية (الأحباش) من ناحية أخرى، ولاسيّما أن الأخيرة تُتّهم بأنها عين المخابرات السورية وأجهزتها الأمنية على الإسلاميين

وقد تمت تصفية المجموعة في مخيم عين الحلوة وخارجه في وقت لاحق، ولم يعد لها أيّ نشاط آخر[6].

مجموعة الضنية:

خاض الجيش اللبناني أول معركة مع السلفية الجهادية، ليلة رأس السنة الميلادية 2000 في جرود منطقة الضنية شمال لبنان، بعد معلومات تلقاها فرع المخابرات للجيش في مدينة طرابلس، عن إنشاء مخيمات تدريبية لمجموعة من المسلحين. كان يقود المجموعة اللبناني بسام كنج الملقب بـ(أبو عائشة)، وهو معروف بعلاقاته مع تنظيم القاعدة ولاسيما أنه حارب في أفغانستان إلى جانب التنظيم ضد السوفيات[7].

وبعد مفاوضات ومناوشات اندلعت الاشتباكات بين الجيش والمجموعة. وأسفرت المعارك التي دامت ستة أيام عن سقوط أحد عشر قتيلًا من الجيش اللبناني و16 قتيلًا من المسلحين بينهم (أبو عائشة) وستة من المدنيين. واعتُقِل 37 شخصًا، فيما لوحق غيابيًّا 67 شخصًا، باعتبارهم فارين من وجه العدالة، بينهم أبو محجن أمير (عصبة الأنصار).

وبحسب المعلومات التي خلص إليها المحققون بعد أحداث الضنية فإن (أبو عائشة) وجماعته كانوا قد عقدوا العزم[8] "على التسلح والتدريب جيدًا لخوض مواجهة مع السلطة اللبنانية والجيش تستمر لفترة غير طويلة. وراهنوا على تقسيم الجيش بحيث يمكنهم ذلك من تحرير لبنان من «النظام الكافر» وإقامة نظام أصولي فيه وتعيين خليفة للمسلمين، ومن هناك يبدأ مشروع إقامة الدولة الإسلامية في المنطقة التي ستتهاوى أنظمتها الواحد تلو الآخر".

كان من تداعيات أحداث الضنية أن اعتقلت السلطات اللبنانية قرابة خمسة وعشرين شخصًا من الإسلاميين، بقي منهم داخل السجون اثنا عشر شخصًا خمس سنوات من دون أن يصدر حكم قضائي بحقهم، وقد عرفوا بـ(موقوفي الضنية).

وتزامنًا مع الأحداث الجارية في الشيشان بين الجيش الروسي والجهاديين الشيشان الذين كان بينهم عدد لا بأس به من المجاهدين العرب قام شخص فلسطيني يدعى (أبو عبيدة) في 3 يناير/ كانون ثاني 2000 بالهجوم على السفارة الروسية في لبنان[9].

وفي العام نفسه ضبطت الأجهزة الأمنية اللبنانية شبكة قوامها تسعة أشخاص يقودها أيمن كمال الدين (مصري الجنسية)، وضبطت بحوزة أفرادها أسلحة ومتفجرات موضوعة ضمن حقائب. وذكرت المعلومات أنهم كانوا يحضرون لتهريبها من لبنان إلى الأردن عبر الأراضي السورية. وقد اعترف الموقوفون وأوّلهم رئيس المجموعة كمال الدين بانتمائهم إلى تنظيم أسامة

بن لادن «القاعدة» وأن الغاية من تهريب الأسلحة والمتفجرات استعمالها هو ضرب مصالح أميركية وإسرائيلية في الأردن.

ثم كشفت تحقيقات أحداث الحادي عشر من أيلول 2001 عن مشاركة اللبناني زياد الجراح في عملية خطف الطائرات، وقيادته الطائرة التي أسقطت في بنسلفانيا.

أصبح لبنان ضمن دائرة تنظيم القاعدة حتى إذا جاء عام 2002، أعلن القضاء اللبناني عن توقيف مجموعة تضم أربعة أشخاص بقيادة اللبناني محمد سلطان، بينها سعودي يدعى إيهاب دفع، اتهموا بالعمل على إنشاء نواة لتنظيم القاعدة في لبنان، وإقامة معسكر لهذا التنظيم في شمال لبنان لإيواء كل المنضوين تحت لوائه في لبنان، وكل الفارين والملاحقين في بلادهم، والتدريب على أعمال عسكرية بهدف ضرب المصالح الأميركية.

ثم جاءت مجموعة ابن الشهيد وهو يمني يدعى معمر عبد الله العوامي، انتقل إلى لبنان عام 1996 للمشاركة في الجهاد ضد إسرائيل بمساعدة خالد السعينان الملقب بـ«أبو سارة اليمني» المسؤول عن تنظيم «القاعدة» في اليمن. وكانت المجموعة مسؤولة عن وقوع تفجيرات، وإلقاء قنابل على بعض المؤسسات التجارية[10] التي تحمل أسماء غربية، خصوصًا مطاعم «البيتزا هت» و«كنتاكي فرايد تشيكن» و«وينرز»، وسوبر ماركت «سبينس»، قبل أن يقع أغلب أعضاء المجموعة في يد الأجهزة الأمنية.

كانت الحركات الإسلامية السلفية والتحريرية والجماعة الإسلامية وغيرها تشعر بالمظلومية التي تمارسها الأجهزة الأمنية اللبنانية السورية المشتركة التي كانت تتحكم بمفاصل لبنان في ذلك الوقت، مع ممارسة التعذيب بحقّ الموقوفين الإسلاميين بوصفها ورقة تخُوِّف بها المسيحيين–وعلى رأسهم البطريرك الماروني نصر الله صفير الذي كان يطالب بخروج السوريين من لبنان– من الأصولية الإسلامية التي بدأت بالظهور إعلاميًّا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001.

استمر الابتزاز السياسي إلى عام 2005؛ تاريخ اغتيال الرئيس الحريري الأب، وما تبعه من خروج للقوات السورية من لبنان. كما تميّزت الأعوام (2000–2005) بأنها كانت عامل توحّد بين الإسلاميين، بالتفافهم حول الجماعة الإسلامية التي كانت تمارس العمل السياسي، إضافة إلى شعور عارم بالمظلومية والتهميش والإقصاء والملاحقة بغير وجه حق، وهو ما مهد بروز توجه سلفي متشدد تزامن مع قوافل العائدين من حرب العراق بعد 2003، واحتكاكهم[11] بالمجتمعات اللبنانية والفلسطينية.

عمد الحريري الابن بعد خروج القوات السورية من لبنان عام 2005 إلى إصلاح العلاقة بين الحكومة التي يرأسها فؤاد السنيورة والإسلاميين من خلال إطلاق موقوفي الضنية تزامنًا مع إطلاق قائد القوات اللبنانية سمير جعجع.

فتح الإسلام

كان العدوان الإسرائيلي على لبنان في تموز 2006 مدمرًا على الصعيدين الاقتصادي والسياسي، وتلاشت معه الآمال بالوفرة الاقتصادية والاستقرار السياسي التي كان اللبنانيون يراهنون عليها بعد سنة من خروج الجيش السوري من لبنان، بعد إقامة دامت عشرين سنة تقريبًا. وما إن انتهت الحرب حتى شرع الانقسام السياسي يفرض وجوده على الأرض، ويعزز الاحتقان السياسي على أسس بدت كأنها طائفية بين معسكرين كبيرين، أحدهما رفع شعار "لبنان أولا" ورأس حربته تيار المستقبل ذو الثقل الكبير في الطائفة السنية، والآخر كان شعاره (دعم محور المقاومة والممانعة)، ورأس حربته حزب الله. وقد أدّى الإعلام المحسوب على قوى 14 آذار دورًا في تحميل حزب الله الخصم الإيديولوجي للفكر السلفي المسؤولية عن تدمير لبنان، وهو ما زاد من الحنق والغيظ عند السلفيين على الحزب، وأسس بدوره لإنتاج ظاهرة فتح الإسلام التي انتهت بوفاة ما يزيد على أربع مئة شخص من الجيش والمقاتلين، وتهجير 30 ألف إنسان[12] من مخيم نهر البارد.

وقد ظهر تنظيم فتح الإسلام إلى العلن في 24 أكتوبر/ تشرين الأول 2006 إثر اشتباك في مخيم البداوي قرب طرابلس، مع عناصر من اللجنة الأمنية في المخيم المذكور، وقد انتقل عناصر التنظيم بعد هذا الاشتباك إلى مخيم نهر البارد، وهناك نما التنظيم بشكل غير طبيعي، وتورّط بمشروع خطير، أدى إلى اصطدامه مع الأجهزة الأمنية اللبنانية، اعتبارًا من 20 مايو/ أيار 2007، وكانت حصيلة المواجهة تصفية التنظيم وتدمير مخيم نهر البارد. وقد شهدت نهاية هذه المواجهة عملية فرار عدد من عناصر التنظيم فجر 2 سبتمبر/ أيلول 2007، تمكّن بعضهم من الوصول إلى مخيم[13] عين الحلوة.

ومن أبرز اللبنانيين الذي شاركوا وكانوا أعضاء داخل فتح الإسلام (أبو هريرة، أحمد مرعي، صدام ديب، وغيرهم). وتختلف الآراء والتقديرات حول عدد اللبنانيين المنخرطين في فتح الإسلام، لكن المؤكّد أنّ عددهم زاد على أربعين شخصًا، غالبيتهم من طلاب الجامعات والمتخصصين في العلوم التقنية، إضافة إلى بعض طلاب الشريعة.

وقد ائتمر التنظيم بأوامر عبد الرحمن عوض الذي استقر في مخيم عين الحلوة، بعد اختفاء مؤسسه شاكر العبسي، ولا يُعرف حاليًّا على وجه اليقين إن كانت هناك الآن مجموعة ترتبط بهذا الرجل في المخيم أو لا، إلا أنه من المؤكد أن عناصر من التنظيم تقاتل في سوريا، وحاولت أكثر من مرة أن تفتعل مشكلات أمنية في لبنان، وقد كشفت تقارير أمنية لاحقًا عن مبايعة أغلبهم لتنظيم الدولة الإسلامية في الرقة.

تبعت أحداثَ فتح الإسلام سلسلةُ استهدافات طالت المؤسسة العسكرية، كان منها اغتيال مدير العمليات في الجيش اللبناني العميد فرانسو الحاج عام 2007.



وهكذا عادت العلاقة بين الجماعات السلفية والحكومة إلى سابق عهدها، وأُعيد النظر إليها على أنها ملف أمني شائك ومعقد وخطر. هنا لم يجد الشارع السلفي إلا اللجوء إلى الاحتماء مجددًا خلف تيار المستقبل الذي أمّن الحماية والغطاء لشخصيات سلفية مهمّة، مثل الشيخ داعي الشهّال، وعدّهم ورقة رابحة في تخويف حزب الله والسوريين في الصراع السياسي القائم، وقد تُرجِم ذلك خلال الخُطب التي كانت تحرّض على حزب الله وسلاحه وعلى السوريين وإيران، كما تُرجِم عمليًّا خلال الحرب التي وقعت بين أهالي مدينة طرابلس من العلويين والسنة، ورأس الحربة فيهم[14] التيار السلفي.

كتائب عبد الله عزام

تُعَدّ كتائب عبد الله عزام من أهم التشكيلات التي أدّت دورًا بارزًا على الساحة اللبنانية أمنيًّا. ومن المعلوم أن بيانات صدرت تحت تسمية (كتائب عبد الله عزام)، تبنت فيها عمليات ضخمة ضد الإسرائيليين في منتجعات طابا وشرم الشيخ في سيناء بين عامي 2004-2006.

ثم برزت في لبنان بشكل شبه رسمي بين عامي 2009-2010، وكان من أبرز أعمالها استهداف السفارة الإيرانية[15] في لبنان عام 2013 بعمليتين انتحاريتين.

الوثائق التي أفرجت عنها كتائب عبد الله عزام عام 2016 عبر مركز نخبة الفكر العام، والتي هي عبارة عن مراسلات جرت عام 2011 بين أمير الكتائب ماجد الماجد وعطية الله

الليبي الرجل الثالث في تنظيم القاعدة، توضح الكثير عن طبيعة الكتائب، وارتباطها بالقاعدة، وتاريخ نشأتها في لبنان، والأهداف التي كانت ترسمها للعمل هنا.

تؤكد الوثائق[16] أن الكتائب أُنشِئت عام 2008 في لبنان. وأن الرجل الثاني فيها والمدعو (أبو محمد الفلسطيني) نائب أمير الكتائب والموجود في سوريا منذ عام 2010 هو المسؤول عن عمليات إطلاق الصواريخ على شمال فلسطين المحتلة عام 2005، والتي تبناها أبو مصعب الزرقاوي في حينه. وكانوا يهدفون إلى إشعال حرب بين إسرائيل وحزب الله.

وتؤكد الوثائق أن إستراتيجيتها تمثلت في الامتناع عن استهداف الجيش اللبناني، وكذلك قوات اليونيفيل، كما أن العمليات التي طالت الكتيبتين الإسبانية والإيطالية عام 2007 لم تكن القاعدة وراءها، ولا أي جماعة تنتمي إلى السلفية الجهادية.

من الخروج السوري نظاميًا إلى عودته لجوءً شعبيًا

عندما انتهى الوجود العسكري السوري في لبنان عام 2005 على خلفية الاعتصامات المستمرة المطالبة برحيله، والتي تأطّر فيها المتضررون من وجوده على شكل تيارات وجماعات ونخب سياسية تأثرت بعملية اغتيال الرئيس الأسبق للحكومة رفيق الحريري- تنفس الإسلاميون الصعداء، و بخاصة التيارات السلفية منهم، واعتبروا أن صفحة جديدة قد بدأت، إلا أن فترة الراحة والاسترخاء وإعادة تبييض صفحة الإسلاميين، أو تسوية أوضاعهم القضائية لم تدم طويلًا، إذ تفجرت أحداث نهر البارد عام 2007، وأُعِيد الإسلاميون إلى دائرة الضوء من جديد.

استمر الحال على ما هو عليه حتى بدأت الحراكات الشعبية في سوريا، وتطورت حتى تحولت إلى انتفاضة شعبية. راهن الإسلاميون كغيرهم على سقوط النظام السوري، ولما تحولت الحراكات السلمية إلى ثورة مسلحة انخرط فيها سلفيو لبنان؛ دعمًا وتأييدًا وإمدادًا بما أمكن بالمال والسلاح وغيره، وأضحى لبنان محطة عبور للتوجه إلى سوريا للقتالفيها.

شُحِن الشارع اللبناني وتأجج على أسس مذهبية، ثم ما لبثت الاضطرابات أن تسللت إلى الداخل اللبناني، على شكل تفجيرات واغتيالات لشخصيات أمنية وسياسية، وصولًا إلى احتراب أهلي دام لما يزيد عن عشرين جولة اقتتال داخل طرابلس، بين حيي باب التبانة السنية وجبل محسن العلوي، سقط فيها العشرات، وهجر الآلاف من منازلهم. كما استهدف الجيش اللبناني أكثر من مرة. وسنورد فيما يلي أغلب الحوادث التي تبنتها تنظيمات سلفية جهادية، أو اتهمتها بافتعالها مؤسستا القضاء والأمن اللبنانيتان:

شهد عام 2011 عددًا من الحوادث كان من أبرزها خطف سبعة سائحين أستونيين في مدينة زحلة في محافظة البقاع شرق لبنان، وقد تبنت حركة النهضة والإصلاح -وهي جهة لم

تكن معروفة ولم يرد ذكرها من قبل – عملية الاختطاف، واستمرت عملية الاختطاف حوالي أربعة أشهر، قبل أن يُفرَج عنهم بصفقة مالية. ثم تمكنت القوى الأمنية اللبنانية بعد عدة أشهر من توقيف أغلب المتورطين، وتبين في سياق التحقيقات وفق ما تسرب من محاضر أن المجموعة نفذت العملية بإيعاز من أحد كوادر تنظيم القاعدة في العراق.

وقد تخلل العام عدة تفجيرات، استهدف الأول في مدينة صور في 16 نوفمبر/ تشرين الثاني 2011 فندق أليسا كوين، وآخر متزامنًا معه استهدفَ محلًّا لبيع الكحول، ثم في 9 ديسمبر/ كانون الأول 2011، وثالث استهدف الكتيبة الفرنسية العاملة في الجنوب اللبناني ضمن قوات اليونيفيل في مدينة صور، وسقط خمسة جرحى.

وإلى جانب عمليات التفجير، شهد عام 2012 عددًا من الاعتصامات والاشتباكات المسلحة، ولاسيما في مدينة طرابلس خلال شهر شباط.

عندما انتهى الوجود العسكري السوري في لبنان عام 2005 على خلفية الاعتصامات المستمرة المطالبة برحيله، والتي تأطّر فيها المتضررون من وجوده على شكل تيارات وجماعات ونخب سياسية تأثرت بعملية اغتيال الرئيس الأسبق للحكومة رفيق الحريري- تنفس الإسلاميون الصعداء، و بخاصة التيارات السلفية منهم

ثم في 4 مارس/ آذار شهدت العاصمة بيروت اعتصامان مضادان في ساحة الشهداء، الأول دعا إليه الشيخ أحمد الأسير تأييدا للشعب السوري، والثاني لمناصري حزب البعث تأييدًا للنظام السوري وسط إجراءات أمنية مشددة.

وفي 23 أبريل/ نيسان من العام نفسه، وقع انفجار عبوة ناسفة في مطعم في صور مجددًا. لكن الحدث الأبرز كان قطع طرق طرابلس بالإطارات المشتعلة والسيارات في 12/ 5/ 2012، احتجاجًا على توقيف شادي المولوي، وسقوط جريحين بإطلاق نار باتجاه المعتصمين في ساحة عبد الحميد كرامي في طرابلس.

في اليومين التاليين للحادث اندلعت اشتباكات مسلحة في طرابلس بين حيّي جبل محسن العلوي وباب التبانة ذي الأغلبية السنية، فسقط قتلى وجرحى، إضافة إلى حركة نزوح كثيفة من المدينة باتجاه الضنية. متزامنًا الحدث مع ما ادعى قاضي التحقيق العسكري صقر صقر على 6 موقوفين بينهم الموقوف شادي المولوي، بتهمة الانتماء إلى تنظيم إرهابي مسلح (في إشارة إلى تنظيم القاعدة).

وفي العشرين من الشهر ذاته، حدث قطع طرقات وتوتر في عدد من المناطق اللبنانية، إثر مقتل الشيخ أحمد عبد الواحد ومرافقه محمد حسين مرعب برصاص جنود لبنانيين على حاجز في بلدة الكويخات في عكار، أعلن معها مفتي الجمهورية الشيخ محمد رشيد قباني إقفال دُور الفتوى ثلاثة أيام حدادًا على مقتل عبد الواحد.

أمـا عـام 2013 فمن أبرز أحداثـه وقوع تفجيرين انتحاريين متزامنين اسـتهدفا السـفارة الإيرانيـة في بـيروت في 19 نوفمبر/ تشرين الأول 2013 راح ضحيته 25 قتيلًا، بينهم الملحق الثقافي الإيراني و147 جريحًا. وقد تبنّت العملية كتائب عبد الله عزام التابعة لتنظيم القاعدة.

ثم في 23 يونيو/ حزيران 2013، وبعد سجال بين مناصري الشيخ أحمد الأسير[17] وأفراد مـن الجيـش اللبناني على حاجـز بالقرب من المجمع الذي يقوم فيه الأسـير تطـور الخلاف إلى اشـتباك بالأسـلحة، ثم تحول إلى معركة بين الطرفين دامت يومان، سـقط فيها 18 من الجيش اللبنـاني، والعـشرات مـن أنصـار الأسـير، وأكثر مـن 100 جريح، وقـد انتهى الأمـر بفراره والقبض على أغلب من شارك في المعارك.

وفي 15 ديسمبر/ كانون الأول 2013 فجّر انتحاري نفسه بواسطة قنبلة يدوية كان يحملها في عنـاصر حاجز الجيش الواقفين على جسر نهـر الأولي في مدينة صيدا. ولم يتبنّ العملية أحد، ولكن قيل إن الانتحاري الفلسطيني ينتمي إلى جماعة الشيخ أحمد الأسير.

امّا عام 2014، فقد تميز بعدد كبير من التفجيرات المتنقلة، ففي 2 يناير 2014 وقع تفجير انتحـاري في منطقة حارة حريك في ضواحي بيروت الجنوبية، سـقط فيـه 5 قتلى و75 جريحًا، وقد تبنى تنظيم داعش العملية.

ثم في 16 يناير/ كانون الثاني 2014 تبنت جبهة النصرة تفجيرًا انتحاريا أمام مبنى السراي الحكومية في مدينة الهرمل، سـقط فيه 4 قتلى وعشرات الجرحى، ثم تبنت لاحقًا في 21 يناير/ كانون الثاني 2014 تفجيرًا انتحاريًّا آخر في حارة حريك في الضاحية الجنوبية لبيروت، خلّف 4 قتلى و46 جريحًا. ومنها تبنيها في 1 فبراير/ شـباط 2014 تفجيرًا انتحاريًّا داخل محطة وقود في مدينة الهرمل أدى إلى 3 قتلى و28 جريحًا. وبعده بيومين، تبنت تفجيرًا في حافلة نقل صغيرة على خط منطقة الشويفات في بيروت.

بدورهـا تبنـت كتائب عبـد الله عزام في 19 فبراير/ شـباط 2014 عملية تفجـير انتحارية مزدوجة في منطقة بئر حسـن مقابل السفارة الكويتية، بالقرب من المستشارية الثقافية الإيرانية في بيروت، سقط فيها 11 قتيلًا وأكثر من 100 جريح.

وفي 22 فبراير/ شباط 2014 تبنّت جبهة النصرة تفجير سيارة مفخخة عند حاجز للجيش في مدينـة الهرمـل على جسر نهر العاصي. أدّى إلى مقتل ثلاثة جنود وجرح سـتة عشر، وفي 16 مـارس/ آذار 2014 وقـع انفجار سـيارة مفخخة في النبي عثمان، في منطقة بعلبك، سـقط فيه قتيلان و14 جريحًا، وقد تبنت جبهة النصرة التفجير، كما تبنت تفجير سيارة مفخخة في حاجز الجيـش القائـم في عقبة الجرد، في وادي عطـا، شرق لبنان، في29 مـارس 2014 حيث قتل 3 عسكريين وجرح 4.

وفي20 يونيـو/ حزيـران 2014 قتل عنصر في قـوى الأمن الداخلي، وسـقط 34 جريحًا، حين تعرض حاجز قوى الأمن الداخلي عند مخفر ضهر البيدر لتفجير انتحاري على يد كتائب عبـد الله عـزام .وفي23 يونيو/ حزيـران 2014 تبنت كتائب عبد الله عـزام تفجيرًا انتحاريًّا في الشياح، في ضواحي بيروت الجنوبية، سقط فيه عنصر من الأمن العام، ونحو عشرين جريحًا. وفي 25 يونيو/ حزيران 2014 فجّر انتحاريان سـعوديان حزامًا ناسـفًا في أثناء مداهمة قوة من الأمن العام فندق (دي روي) في منطقة الروشة في بيروت، وقد تبنى تنظيم داعش العملية.

وفي 10 يناير/ كانـون الثـاني 2015 تبنّت جبهة النصرة تفجـيرًا انتحاريًّا مزدوجًا في جبل محسن، في مدينة طرابلس سقط فيه 9 قتلى و36 جريحًا. وفي 12 نوفمبر/ تشرين الأول 2015 تبنـى داعش تفجـير في منطقة بـرج البراجنة في ضواحي بـيروت الجنوبية، نفـذه 3 انتحاريين أودى بحياة 43 قتيلًا و239 جريحًا.

أمـا أبـرز الأحـداث الأمنية خلال عـام 2016، فكان توقيـف الأجهزة الأمنيـة عددًا من قيـادات جبهـة النـصرة وتنظيـم داعش، وتفكيـك عدد من الخلايـا، والحيلولـة دون حدوث تفجـيرات كان يُخطَّـط لهـا، إلا أن انفجار عبـوة ناسـفة أدى إلى مقتل عسـكري وإصابة ثلاثة آخرين في استهداف حاجز في وادي عطا، في 24مارس/ آذار 2016.

وفي 22سـبتمبر/ أيلول 2016، تمكنـت قوى أمنيه لبنانية مـن توقيف أمير داعش في مخيم عين الحلوة عماد ياسين. وفي الخامس والعشرين منه أُوقف القيادي في التنظيمات الجهادية أحمد أمون وعدد من مرافقيه في عملية نوعية لمخابرات الجيش في وادي الأرانب في عرسال بالقرب من الحدود السـورية إلى الشرق من لبنان. وكانت عرسـال تشهد عمليات اقتتال بين الفصائل السـورية مـن بينها جبهة النصرة وتنظيم داعش، وفي أكثر مـن مرة عثر على قيادات مقتولة من التنظيمين، في عمليات تشبه الاغتيال أو التصفية السرية.

عمليات تخريبية بعيدة عن السلفيين

عـلى الرغم مـن أن أصابع اليد تتجـه مباشرة إلى السـلفيات الجهادية عنـد وقوع أي خلل أمنـي، أو عمـل تخريبي، وغالبًا مـا تُتَّهم جهات جهادية مباشرة إلا أنه بعـد التدقيق والتحري والتحقيقـات التي أجرتها الجهـات المختصة تبيّن أن بعضًا منها يفضي إلى جهات مجهولة يتعذر كشف هويتها. كما أن سلسة من الاغتيالات طالت شخصيات سياسية لم يُعرَف إلى الآن هوية منفذيها، ولا من يقف خلفهم. ومن أبرز تلك الأحداث عملية اغتيال رئيس الوزراء الأسـبق رفيق الحريري في 14 فبراير 2005. حيث ظهر عقب الاغتيال بساعات على إحدى المحطات الفضائية شريط فيديو لشـخص سـلفي يدعى أحمد أبو عدس تبنّى فيه المسـؤولية. كما أوقفت الأجهزة الأمنية مجموعة سـلفية عرفت يومها بـ(مجموعة13)، وسربت محاضر إلى الإعلام [18] تؤكّد وقوفها خلف الاغتيال.

إلا أن المحكمة الدولية التي شكلت للتحقيق في الجريمة ما لبثت أن وجهت أصابع الاتهام إلى جهات استخبارية إقليمية، ونفت أن يكون للتنظيمات الجهادية أي علاقة بالاغتيال.

كما استُهدِفت قوات اليونيفيل بين عامي 2007 و2011، ورغم اتهام جهات قاعدية بالوقوف خلفها إلا أن تلك التنظيمات نفت فيما بعد أي علاقة لها بتلك الهجمات؛ بل إن بعض التحقيقات كشفت عن وجود جهات غير جهادية كانت بصدد القيام بعلميات تفجير ضخمة لإثارة النعرات الطائفية في لبنان، ففي شهر أبريل نيسان 2016، قضت محكمة التمييز العسكرية بسجن الوزير السابق ميشال سماحة بالسجن 13 عامًا مع الأشغال الشاقة، بعدما أدانته بجرم نقل متفجرات من سوريا إلى لبنان، والتخطيط لتنفيذ تفجيرات عبر سلسلة من السيارات المفخخة التي كانت تستهدف شخصيات محددة في عكار وطرابلس. وكان وزير الإعلام السابق ميشال سماحة اعتقل في أغسطس/ آب 2012، وحكم عليه بالسجن بعد أن كشف فرع المعلومات التابع لقوى الأمن الداخلي مخططه.

وبعد شهرين تقريبًا من نجاح رئيس فرع المعلومات اللواء وسام الحسن بكشف مخطط سماحة، اغْتِيل بسيارة مفخخة في بيروت من دون أن تُعرَف هوية الفاعل، ثم كرّت سلسلة التفجيرات المتنقلة، حيث قضى الوزير محمد شطح القيادي في تيار المستقبل بتفجير سيارة مفخخة.

وفي 23 اغسطس/ آب من عام 2013 فُجِّرت في مدينة طرابلس سيارتان مفخختان عند مدخلي مسجدي (السلام) و(التقوى) اللذين كانا مكتظين بالمصلين ظهر يوم الجمعة، وسقط فيهما ستون قتيلًا وأكثر من 350 جريحًا. وقد انتهت التحقيقات الأمنية في التفجيرين إلى اتهام الحزب العربي الديمقراطي في طرابلس -وهو حزب مقرب من النظام السوري- بالوقوف وراء التفجيري. وقد شهدت طرابلس قبل التفجيرين وبعدهما حوالي عشرين جولة من الاقتتال الداخلي، بين حيّي جبل محسن العلوي وباب التبانة بأكثريته السنية على خلفية الموقف من الثورة في سوريا.

أثر الأزمة السورية في واقع السلفية الجهادية اللبنانية

تُعدّ الأزمة السورية وما أحدثته من التغييرات الديموغرافية وخلط الأوراق اللبنانية مع تدفق اللاجئين ودخول حزب الله في الصراع السوري- محطة فارقة في تطور العمل السلفي ووجوده في لبنان، حيث انتصر التيار الجهادي المتشدد على التيار العلمي فيه.

وإن الأزمة السورية أسهمت بتفشي الحالة السلفية الجهادية في لبنان، إلا أنها جعلتها أكثر عرضة للاختراق الاستخباري بعد تدفق اللاجئين السوريين إلى لبنان، وزيادة وتيرة الأعمال التخريبية على الأرض اللبنانية.

لم يعد لبنان دار نصرة، وإنما تحول إلى أرض جهاد تستقطب وتجذب المقاتلين من الجنسيات غير العربية. كما انعكس الصراع بين النصرة وتنظيم الدولة تنافسًا حادًّا لها لدى السلفية الجهادية اللبنانية من حيث الاستقطاب وغيره. ومن المناسب أن نذكر هنا الدراسة الاستطلاعية التي أجراها مركز بيو في تشرين الثاني عام 2015، على 11 دولة حول انطباعاتها عن تنظيم الدول الإسلامية، حيث أتى لبنان على رأس قائمة الدول التي لديها انطباعات سلبية تجاه التنظيم[19]، بنسبة 100٪ تقريبًا.

دور المظلومية المفترضة في الاستقطاب للخطاب المتشدد

إن شعورًا بالمظلومية –قد يكون حقيقة أو أمرًا متوهّمًا– لدى شريحة واسعة من أهل السنة في لبنان، التي تتدلل عليها بضعف القيادات السياسية السنية، وانقسامها على نفسها مقارنة بغيرها– فاقم الوضع السياسي الداخلي، ولاسيما أن الإعلام يسهم بشكل ما في تغذية الشعور بالإقصاء والاضطهاد عند أغلب المتعاطفين مع التيار السلفي.

ويرى أهل التيارات السلفية وأنصارهم في لبنان أن الإعلام بكلّ أنواعه يعمل على إلصاق تهم الإرهاب بكل سنّي متمرد على السياسات القائمة في لبنان، التي تهدف إلى ربط لبنان بتوجهات ومشروعات إقليمية محددة تستفيد منها طائفة على وجه الخصوص من دون غيرها من اللبنانيين.

وتعتقد التيارات السلفية في لبنان أن حديث البعض عن ضرورة خلق مؤتمر تأسيسي بديلًا لاتفاق الطائف هي ورقة ابتزاز تلوح بها باستمرار القوة الأقوى في لبنان سياسيًّا وعسكريًّا ضد كل من يعترض على سياساتها وممارساتها. لذا فهذه التيارات تنظر إلى الطبقة السياسية السنية على أنها طبقة مهادنة وملحقة بالمشروع الإيراني في لبنان، وهي أعجز من أن تعكس تطلعات الطائفة السنية، فضلًا عن قدرتها ورغبتها في ذلك. وأنه لا يمكن لأهل السنة في لبنان في ظل الهجمة المفترضة التي يتعرضون لها القدرة على الصمود أمام هذا النوع من التدفق الشامل والمستمر الذي يتناول كيّ الوعي السياسي عندهم.

بدوره يعتقد التيار السلفي الجهادي أنه اليوم يعكس النموذج الغاضب للسنة المتمردين على هيمنة حزب الله على السياسة اللبنانية، وأنه أكثر وفاء ودفاعًا عن حقوق سنة لبنان وسوريا، ولاسيما اللاجئين منهم على الأرض اللبنانية.

البيئات التي تنشط فيها التيارات المتشددة دينيًا

تعمل السلفية الجهادية النشطة في عموم بلاد الشام على توفير بيئة وملاذات آمنة لها في لبنان، وتعتمد في إستراتيجيات التغلغل على ثلاثة مكونات اجتماعية هي:



• البيئة الفلسطينية داخل المخيمات التي تعاني مشكلات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية مزمنة، ويزداد داخل هذه البيئة التيار السلفي الجهادي بكثافة، وهو يشكل منافسًا للفصائل الفلسطينية في الهيمنة على المخيمات، رغم كل التنسيق الذي يجري بين الفصائل الفلسطينية على عمومها والمخابرات اللبنانية على ضبط المخيمات ومنع اختراقها.

• بيئة اللاجئين السوريين في لبنان والتي تعاني من مشكلة في التعايش مع الأوضاع الأمنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية للحالة اللبنانية. وهي بيئة بحكم ظروفها وموقعها من الصراع السوري الذي اتخذ منحى طائفيًّا، جعلتها بيئة مخترقة تمامًا للخطاب السلفي الجهادي المتشدد، وحملها على التعاطف معه في النجاحات التي يحققها على الأرض عسكريًّا ضد النظام السوري، يضاف إلى ذلك أن للمخيمات الموجودة على الحدود اللبنانية السورية، مثل عرسال شرق لبنان، وعجز الدولة اللبنانية عن الإحاطة بها أمنيًّا- سهّلت اختراق أفرادها لمصلحة الفصائل المسلحة الجهادية، مثل داعش والنصرة. وبما أنها بيئة لا تتعامل معها الحكومة اللبنانية بوصفها حالة لجوء إنساني بقدر ما هي مشكلة سياسية وأمنية واقتصادية واجتماعية- فقد ضعفت عمليات التنسيق بين الدولة اللبنانية والناشطين داخل هذه المخيمات لحمايتها من الاختراق. كما أن الخشية المستقبلية من طرح توطين اللاجئين السوريين في لبنان على غرار الخوف الدائم من توطين اللاجئين الفلسطينيين على الأراضي اللبنانية زاد من عمليات التضييق عليهم حتى بدا أنه أمر مقصود؛ لإبعاد هؤلاء عن لبنان، حتى لو اضطرت الأجهزة الأمنية غض الطرف عمن ينظم عمليات التهريب بحرًا من لبنان

إلى الدول الأوروبية. ويزعم أنصار اللاجئين السوريين أن تعاونًا لبنانيًا سوريًا على ملاحقة المعارضين السوريين في لبنان من ضباط منشقين وهناك شواهد كثيرة تدلل على ذلك، مثل حبس بعضهم من دون شبهة قانونية، أو مخالفة ارتكبوها على الأرض اللبنانية.

• البيئات السنية المهمّشة اقتصاديًا واجتماعيًا، والتي تعيش في أحزمة البؤس حول المدن في طرابلس، مثل منطقة المنكوبين التي تُعدّ بيئة مخترقة لأسباب مرتبطة بالدرجة الأولى بعجز عوائلها عن التكيّف مع ظروف العمل، ونتيجة البطالة المتفاقمة والتعليم المتواضع لأبنائها، فضلًا عن مظلومية تاريخية تعيشها أغلبية مدن ومناطق الشمال خلال الوجود السوري في لبنان، وفاقم من أمرها أن الدولة اللبنانية لم تقدّم لها شيئًا قد يحدث فرقًا عمّا كانت عليه أحواله سابقًا. في ظل هذه الظروف التي تجعل من حالة التكيف والاعتدال الفكري أمرًا بالغ الصعوبة تجد التيارات الإسلامية والسلفية خصوصًا صعوبة تامّة في الاعتدال السياسي وتجد التهميش داخل المجتمع والدولة، وخسارة قدرتها في التأثير ومناهضة للخطاب الجهادي المتشدد.

الخلفيات الاجتماعية للمنخرطين في التيار الجهادي:

عند النظر في الخلفيات الاجتماعية التي ينحدر منها الموقوفون بتهم الإرهاب في السجون اللبنانية، والذين نفذوا عمليات تفجيرية أو تخريبية في لبنان خلال السنوات السّت الماضية، أو أولئك اللبنانيون المنخرطون في جبهات القتال خارج لبنان- نتلمس دلالات سيسيولوجية وسياسية لأسباب التحولات نحو العنف عند هؤلاء، فالقراءة المسحية لهويات أغلب هؤلاء تُظهر أنهم من سكان المناطق المهمّشة حول المدن، أو من أولئك الذين عجزوا عن التكيف الاجتماعي في المجتمع المدني ومتطلباته، وهم يتوزعون على البيئات الآتية:

• جزء كبير منهم ينحدر من تنظيمات جهادية تاريخية لم تسوّ مشكلاتها بشكل صحيح، فهو إما أنه كان ينتمي إلى حركة التوحيد الإسلامي التي قمعتها بشدّة في الثمانينيات أجهزة الأمن السورية خلال دخوله مدينة طرابلس عام 1985، وإما من أولئك الذين ضُيِّق عليهم لتوجههم السلفي خلال التسعينيات، وإما أنه ينحدر من عائلة عرفت بانتمائها إلى حركات جهادية أو انخرطت في الحرب الأهلية، وهذا يبدو شديد الوضوح في مجموعة الضنية، وبعض الخلايا المكتشفة.

• من كان له سابقة انضمام إلى تنظيم جهادي مسلح قبل حلّه، مثل بعض المنتمين إلى تنظيم الدولة الإسلامية من فتح الإسلام، ممن تمكّن من الهرب إلى مخيم عين الحلوة في صيدا جنوب العاصمة بيروت، ثم ذهب إلى القتال في العراق وسوريا قبل أن يعود إلى العمل في لبنان، أو يجنّد من مكانه هناك خلايا في الداخل اللبناني للتخريب.

• من عاد من الجهادي العراقي قبل الثورات العربية، حيث كان يمضي الشاب إلى هناك تحت نظر المخابرات التي كانت تسعى في حينه إلى إفشال الاحتلال الأمريكي للعراق،

خوفًا على نظمها الحاكمة، وما لبث أن عاد بعض من هؤلاء إلى لبنان وشرعوا في بناء تنظيمات مسلحة، مثل كتائب عبد الله عزام.

• وهناك فئة جديدة نشأت على وقع الصدام السوري متأثرة بنجاحات داعش والنصرة في الهيمنة، وجزء لا بأس به من هؤلاء تعرّف إلى الفكر الجهادي، وهو خارج لبنان، حيث كان يعيش أو يعمل.

عدد المقاتلين الجهاديين في لبنان

تقدّر الأجهزة الأمنية عدد الأشخاص الذين التحقوا من لبنان بالتنظيمات الجهادية في سوريا والعراق منذ اندلاع الأزمة في سوريا عام 2011 بـ6 آلاف شخص، قتل منهم 1300. وقد سلك هؤلاء طُرُقًا ثلاثة للوصول إلى أماكن القتال: عبر مطار بيروت إلى تركيا فالرقة، وعبر المعابر الحدودية غير الشرعية، وعبر البحر .ولا يعرف عدد اللبنانيين من بين الملتحقين، إذ إن نسبة كبيرة منهم من الذين ولدوا في المخيمات الفلسطينية في لبنان. وتكشف المصادر الأمنية أن مدير مخابرات الجيش العميد كميل ضاهر تلقى رسائل تهديد نصية وصوتية، أرسلها أحد قيادات تنظيم الدولة (داعش) المعروف بوقوفه خلف عدد من الخلايا النائمة التي تمكنت استخبارات الجيش من تفكيكها خلال العامين 2016-2017.

وقد سبق أن قال قائد الجيش العماد جان قهوجي أن "تنظيم داعش اتخذ قرارًا بتنفيذ عمليات في لبنان"، وذلك عقب توقيف الانتحاري عمر العاصي، قبل تفجير نفسه في مقهى الكوستا في الحمرا مطلع فبراير/ شباط 2017، وقد تبيّن أن العاصي كان أحد مناصري الشيخ أحمد الأسير [20] قبل أن يلتحق بتنظيم الدولة.

الموقوفون الإسلاميون وعمليات التعذيب

لا توجد إحصاءات دقيقة عن عدد الموقوفين الإسلاميين في السجون اللبنانية، إلا أن التقديرات تشير إلى وجود 500 عنصر، ينحدرون من تنظيمات سلفية جهادية مختلفة، موزعين على جنسيات متعددة، وإن كان أغلبهم لبنانيين. وينتمي غالبيّة المعتقلين الإسلاميين إلى الأحياء الشعبية الفقيرة المحاذية لجبل محسن؛ أي مناطق القبة والتبانة والمنكوبين والحارة البرانية التي شكلت في فترة من الفترات خطوط مواجهة خلال أحداث[21] طرابلس.

خلال شهر تموز تموز/ يوليو 2015 انتشر فيديو مسرب من أحد أقبية السجون اللبنانية فيه مشاهد تعذيب شديد وإذلال خلقي لعدد من المساجين الإسلاميين على يد عناصر من القوى الأمنية. وقد سبّب المقطع المصور غضبًا وردّة فعل شديدين في أوساط منظمات حقوق الإنسان، وعند أهالي الضحايا والمتعاطفين معهم.

وقد نشرت لجنة الأمم المتحدة لمناهضة التعذيب نتائج تحقيق سرّي خاص بلبنان تشير إلى أن التعذيب يمارَس ومورس على نحو منهجي في لبنان، ولاسيما في سياق التحقيق، وبغرض انتزاع الاعترافات. وعدّت اللجنة ممارسة التعذيب متفشية في لبنان، حيث تلجأ إليه القوات المسلحة والأجهزة المكلفة لإنفاذ القانون لأغراض التحقيق، ولضمان استخدام الاعترافات في الإجراءات الجنائية، وأحيانًا لمعاقبة الضحايا على الأعمال التي يُعتقد أنهم ارتكبوها، بل كشفت اللجنة عن وجود أدوات غير عادية، وحتى تجهيزات مصمّمة خصوصًا لممارسة التعذيب، فضلًا عن الجروح البالغة المعاينة خلال الفحوصات الطبية على أجسام الضحايا. كما أكدت منظمة هيومن رايتس ووتش شيوع التعذيب في المخافر اللبنانية في تقرير أعدته تحت[22] عنوان (جزء من عملنا).

واقع السلفية الجهادية اليوم وإمكانية إعادة دمج أعضائها اجتماعيًا وسياسيًا:

بعد مرور ست سنوات على الصراع السوري وثلاثة عشر عامًا على الاضطرابات في العراق لم تعد السلفية اللبنانية ذات خصوصية تميزها عن مثيلاتها في العالم العربي، فحالة الانفتاح السياسي النسبي وتنوع المجتمع اللبناني طائفيًا فضلا عن طبيعته الحضارية التي أسهمت في إنتاج خطاب سلفي معتدل في عمومه الغالب- بدأت تتلاشى لمصلحة الخطاب السلفي المتشدد، فبتنا نشاهد سلفيًا لبنانيًا يقدم على تفجير نفسه بعد أن كان ذلك أمرًا مستحيل الحدوث، كما بدأ يترقى داخل التنظيمات المتشددة، ويحوز مناصب قيادية، ويملك خبرات قتالية احترافية.

هذا التوسع في الحالة السلفية المتشددة مثّل انتكاسة أمنية وأخرى اجتماعية، وهو ما زاد من المشكلات والأزمات وعقّد أساليب تفكيك الألغام المذهبية والطائفية، ولاسيما أن جزءًا من المشكلة هي من نصيب بعض الأجهزة الأمنية التي تتنافس فيما بينها في التعامل مع قضايا العنف والإرهاب؛ طلبًا للترقّي في الرّتب وإن كان من باب الاستغلال السياسي.

وتذهب الدراسة التي أعدها كلٌّ من بلال صعب من مركز (صبان) لسياسة الشرق الأوسط وماغنوس رانستروب من مركز (التهديد اللامتوازن) بإستوكهولم بعنوان: (الحركات الجهادية السلفية وتأثيراتها السلبية في لبنان)- إلى أن أسباب العنف يمكن تحديدها بالظلم السياسي، الاجتماعي والاقتصادي، وأن "ظهور الحركات المسلحة الإسلامية في الشرق الاوسط كان مترافقًا، وبشكل ليس صدفة، مع أزمة هوية عامة في المجتمع الإسلامي-العربي، ومع الشعور المشترك بالإذلال والخضوع؛ نتيجة للهزائم العسكرية العربية المتلاحقة للعرب أمام اسرائيل".

وقد افترضت دراسة أخرى تَقدّم بها مجموعة من الباحثين الغربيين تحت عنوان: (حماية لبنان من تهديد السلفية الجهادية) أن الجهاديين السلفيين في لبنان[23] "لديهم أجندات مختلفة،

كما أنهم يشكلون كيانات صغيرة نسبيًّا، سرية وشبه مستقلة، مع هيكليات تنظيمية غير رسمية. وكل كيان مهتمّ باستمراريته وبقائه أكثر من اهتمامه بشنّ جهاد هجومي ضد (الكفار)، كما أنهم منقسمون إلى فئات سياسية أيضًا."

وقد نجحت الدولة اللبنانية في تفكيك العديد من الخلايا الجهادية، أو وأد العمليات التخريبية في مراحلها النهائية والأخيرة، من خلال تشاركها المعلومات الاستخبارية مع استخبارات إقليمية ودولية معنية بمواجهة الإرهاب، إلا أننا لا نرى في المنظور القريب إمكانية القضاء على ظاهرة العنف والإرهاب في لبنان طالما أن المنطقة ملتهبة من حولنا.

كما أن التعاطي مع الظاهرة في بعدها الأمني فقط قد يجدي نفعًا في المستويات الزمنية القريبة، إلا أنه على الأرجح سيعجز عن احتوائها على المستوى الزمني المتوسط والبعيد. وبدون شك فإنه ليس بمقدور لبنان تنفيذ كامل أنشطة الاحتواء معتمدًا فقط على المقاربات الأمنية للظاهرة، ومكبلًا أو مهملًا الدور المنوط بدار الفتوى والجمعيات الأهلية والتيارات الإسلامية، وتاركًا الإعلام منفلتًا من عقاله في خطابه المحمل بالأبعاد الطائفية، ومن دون أن يفصل بين الخطاب المحرض على العنف أو الغارق فيه، وبين الخطاب الناقد للحالة السياسية، سواء أكان حامل الخطاب سلفيًّا أم لا.

الهوامش والمصادر :

1. سعود المولي، السلفيون في لبنان: التأرجح بين الدعوة والسلاح، مركز الجزيرة للدراسات، 15 نوفمبر، 2012
2. محمد علوش، سلفيو لبنان في سياق الدولة الوطنية، رسالة دكتوراه غير منشورة، فصل: إرهاصات أحداث الضنية.
3. محمد علوش، سلفيو لبنان في سياق الدولة الوطنية، رسالة دكتوراه غير منشورة، فصل: إرهاصات أحداث الضنية.
4. عبد الغني عماد، الحركات الإسلامية في لبنان: الدين والسياسة في مجتمع متنوع، دار الطليعة، بيروت، 2006، ص221
5. من حوارات أجراها الباحث مع إيهاب البنا عام 2008 في بيروت لمصلحة رسالة الدكتوراه.
6. محمد علوش، سلفيو لبنان في سياق الدولة الوطنية، رسالة دكتوراه غير منشورة، فصل: إرهاصات أحداث الضنية.
7. فداء عيتاني، الجهاديون في لبنان: من قوات الفجر إلى فتح الإسلام، دار الساقي، بيروت، 2008، ص99
8. مواجهة لبنان المباشرة مع الإرهاب بدأت عام 2000 وحصيلتها كانت ضبط 6 شبكات واسعة لـ«القاعدة»، الشرق الأوسط، لندن، 8 أكتوبر 2004 العدد 9446
9. محمد علوش، سلفيو لبنان في سياق الدولة الوطنية، رسالة دكتوراه غير منشورة، فصل: إرهاصات أحداث الضنية.
10. مواجهة لبنان المباشرة مع الإرهاب بدأت عام 2000 وحصيلتها كانت ضبط 6 شبكات واسعة لـ«القاعدة»، الشرق الأوسط، لندن، 8 اكتوبر 2004 العدد 9446
11. مجموعة مؤلفين، الحركات الإسلامية في الوطن العربي، الجزء الثاني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،

ص1967-1968

12. محمد علوش، السلفية الجهادية: الأفكار والعقائد والتنظيمات، دار الملاك ومؤسسة الفكر الإسلامي المعاصر، بيروت، 2014، ص89-91
13. فداء عيتاني، الجهاديون في لبنان: من قوات الفجر إلى فتح الإسلام، دار الساقي، بيروت، 2008، ص283
14. محمد علوش، السلفية الجهادية: الأفكار والعقائد والتنظيمات، دار الملاك ومؤسسة الفكر الإسلامي المعاصر، بيروت، 2014، ص89-91
15. عبد الغني عماد، السلفية والسلفيون، الهوية المغايرة: قراءة في التجربة اللبنانية، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، 2016، ص245 انظر: "المراسلات بين ماجد الماجد وعطية الله الليبي" التي كشفت عنها كتائب عبد الله عزام على المواقع الإلكترونية عبر مركز نخبة الفكر العام، عام 2016
16. محمد علوش، من يمثل القاعدة في لبنان، الشرق، 30 إبريل 2016.
http://www.al-sharq.com/news/details/418282
17. عام 2011 برز الشيخ أحمد الأسير داعمًا للثورة السورية في خطبه النارية في أحد مساجد صيدا قبل أن ينتقل تأثيره إلى مناطق متعددة من لبنان، وفي عام 2012 قام بما سمّاه "اعتصام الكرامة" الذي شلّ مدينة صيدا لأسابيع من أجل نزع سلاح حزب الله. وفي 15 أغسطس/آب 2015 أُوقِف أحمد الأسير في مطار رفيق الحريري الدولي في أثناء محاولته الهرب خارج لبنان بعدما أجرى عملية تعديل في مظهره الخارجي بجواز سفر مزور.
18. فداء عيتاني، الجهاديون في لبنان: من قوات الفجر إلى فتح الإسلام، دار الساقي، بيروت، 2008، ص139
19. محمد علوش، داعش وأخواتها: من القاعدة إلى الدولة الإسلامية، دار رياض الريس للكتاب والنشر، بيروت، 2015، ص237
20. رضوان مرتضى، 6000 «جهادي» غادروا لبنان للقتال في سوريا والعراق، الأخبار، بيروت، العدد ٣٠٩٦ الجمعة ٣ شباط ٢٠١٧
21. بشير مصطفى، الموقوفون الإسلاميون: حر السجن والفقر والتخلي السياسي، المدن، بيروت، 2016/06/25
22. التعذيب في السجون اللبنانية يتخطى حادثة سجن رومية، ميرفت عوف، موقع ساسة بوست، ين. 24 يونيو,2015، على الرابط: http://www.sasapost.com/torture-in-lebanese-prisons/
23. الحركات الجهادية السلفية وتأثيراتها السلبية في لبنان، موقع شبكة فولتير، 21 تشرين الأول (أكتوبر) 2007